

ملكوت الله ... ومفهوم شعب الله

كنت قد تحدثت في عدد سابق عن معاني ملكوت الله أو ملكوت السموات. واتضح لنا أن المقصود بملكوت الله هو سلطان الله أو سلطان السماء على البشر. أن بشارة الملكوت التي كرز بها المسيح، كانت تشير إلى حلول الزمان الذي ستتحقق فيه وعود الله منذ القديم للإنسان. أي الوعد بتحرير الإنسان من عبودية الخطية وسلطان إبليس وسطوة الموت، وإعادة الشركة الروحية بينه وبين خالقه. وتبين لنا أيضاً أن ملكوت الله قد حلّ بمجيء الملك والمخلص الرب يسوع المسيح ، وبدأ رسمياً بعد موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات.

إن كل من يؤمن اليوم بالمسيح المخلص يصبح من أولاد الله ويملك الله بالتالي على حياته، ويغدو من رعايا ملكوت الله. ولاحظنا أن اليهود من معاصري المسيح رفضوا هذا المفهوم الصحيح لملكوت الله، لأنهم وجدوا تناقضاً بينه وبين مفاهيمهم الأرضية والعنصرية الضيقة.

نتيجة لذلك قد يطرح أحدهم السؤال التالي: ما هي العلاقة اليوم بين اليهود وملكوت الله؟ وهل ما زالوا شعب الله المختار؟ بالطبع هناك عدة تفسيرات في هذا المجال، وسنحاول أن نعرض في هذه المقالة التفسير الذي نعتقد أنه أقرب إلى مفهوم كلمة الله.

لقد أجابنا المخلص الرب يسوع المسيح عن هذه التساؤلات عندما قصّ مَثَل الكرم والكرامين. وهو المدوّن في بشارة متى ٢١: ٣٣-٤٥. وهذا المَثَل يشير بكل وضوح إلى الشعب اليهودي، ورجال الدين اليهود، الذين أوكلهم الله قديماً على كرمه. لكن اليهود تآمروا على أنبياء الله وقتلوا بعضهم. ثم تآمروا على ابن صاحب الكرم أي المسيح، وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. وبعد أن انتهى المسيح من سرده للمَثَل سأل الجمع المحتشد من حوله قائلاً: "متى جاء صاحب الكرم (أي الله) ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟" أجابه الجمع: "أولئك الأردباء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها". عندها فاجأ المسيح سامعيه من رؤساء اليهود بقوله: "لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره".

لقد انتزع الله كرمه أي ملكوته إذن من أيدي الكرامين اليهود وسلّمه إلى كرامين آخرين. وهكذا لم يعد لليهودية أية علاقة بالله وملكوته بسبب رفض اليهود للمسيح المخلص الملك، وتآمرهم عليه بالصليب، ولم يعد اليهود بعد يسمّون بشعب الله كما يظن

الكثيرون. أما الأمة الأخرى التي أعطي لها مسؤولية ملكوت الله فهي كنيسة المسيح الحقيقية المؤلفة من كل الشعوب والأمم والألسنة.

لعل السؤال الذي يجب أن نجيب عنه الآن هو: ماذا كان دور الدين اليهودي إذن بالنسبة لملكوت الله الذي أعلن بمجيء المسيح؟

لقد كان لليهودية دوراً هاماً في حقبة طويلة من التاريخ البشري. فمن خلال العهد القديم من الكتاب المقدس أعلن الله ذاته وخطته لخلاص البشر. فاختر الله ابراهيم ليكون أباً لجمهور من الأمم، وأعلن له أنه بنسبه ستتبارك جميع قبائل وأمم الأرض. وأعطى الله موسى الناموس والشرائع الملحقة به، لهدف وضع حدود يسلك من ضمنها الإنسان، ويعرف منها الخطأ من الصواب. ولكي يكتشف الإنسان مدى عجزه وفشله في تطبيق وصايا الله، وليدرك أنه عبد للخطيئة، وحاجته إلى الخلاص والمخلص. وأرسل الله الأنبياء الواحد بعد الآخر ليحذّر الشعب وينبّههم ويعود بهم إلى طريق الصواب. وليعلن لهم في نفس الوقت عن خطته المجيدة بإرسال المخلص والملك المسيح، الذي سيحررهم ويملك عليهم ويبدأ معهم عهداً جديداً.

وفي الوقت المحدد من قبل الله وُلد المخلص الملك يسوع المسيح، وتمّت في شخصه كل وعود ورموز ونبوءات العهد القديم. وأعلن المسيح خلاص الله للبشر جميعاً من خلال موته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات. وبدأ بالتالي عهداً جديداً بين الله والإنسان. لقد كانت اليهودية إذن تمهّد لإعلان خلاص الله الكامل بواسطة المسيح المخلص وترمز له. وعندما أتى المسيح انتهت الديانة اليهودية عملياً ورسمياً بالنسبة لله. وبدلاً من العلاقة الخاصة التي كانت بين الله والشعب اليهودي، فقد حلّ مكان هذا الشعب شعب جديد من كل الشعوب والأمم والألسنة. لكن هذا لا ينفي أن الله يتعامل بشكل فردي مع اليهود خلال العصر الراهن. وهكذا يصبح كل من يؤمن منهم عضواً في كنيسة المسيح الحقيقية (راجع الرسالة إلى رومية، الأصحاح الحادي عشر).

لذلك لم تعد هناك أية حاجة إلى طقوس وعبادة وفرائض الديانة اليهودية، لا سيما تلك المتعلقة بالهيكل والذبائح الحيوانية ونظام الكهنوت اليهودي. لقد صار المسيح هو رئيس الكهنة الحقيقي الذي قدّم جسده ذبيحة حياة للتكفير عن خطية الجنس البشري. ولهذا لم يكن غريباً أن ينشق حجاب الهيكل الذي كان يفصل القدس عن قدس الأقداس في الهيكل، عند موت المسيح على الصليب. والمسيح بعد قيامته من الأموات صعد إلى السماء، حيث جلس عن يمين عرش الله، لكي يشفع بكل المؤمنين الحقيقيين. وبصعوده

إلى السماء دخل المسيح إلى قدس الأقداس الحقيقي . لهذا نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين عن انتهاء مفعول ذبائح العهد القديم وحلول كفارة العهد الجديد مكانها. (راجع سفر العبرانيين ٧: ٨-١٣).

أجل، لقد أتى المسيح الملك المخلص الموعود به منذ القديم، وظهرت الحقيقة جلية ناصعة، وانتهى بالتالي زمن الرموز والشعائر والطقوس اليهودية. لقد حلت المسيحية مكان اليهودية، وصار على اليهودي أن يؤمن بشخص المسيح المخلص لكي يصبح من شعب الله الجديد.

لكن من هو شعب الله الجديد ومن يتألف؟ لقد دعا المسيح بعد قيامته تلاميذه لكي يذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها. أي يكرزوا ببشارة الخلاص المفرحة لكل الشعوب والأمم والألسنة. وفعلاً انطلق التلاميذ مبشرين بدءاً من أورشليم وإلى المناطق المحيطة ثم إلى كل أنحاء العالم القديم. وهكذا نشأت الكنيسة المسيحية التي تتألف من جماعة المؤمنين الحقيقيين، وأصبح المؤمنون المسيحيون هم شعب الله الجديد. الشعب المجموع من كل الشعوب والأجناس والطبقات، والذي لا يقتصر على شعب معين أو فئة محددة.

وكان المسيح نفسه قد سبق له أن قال مرة لليهود: "ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد." (بشارة يوحنا ١٠: ١٦) أي أن المسيح أعلن بصراحة أنه سيأتي بأناس آخرين من خارج الحظيرة اليهودية، ويدخلهم إلى ملكوته. لا بل أكد المسيح في كلامه هذا أنه ستكون هناك رعية جديدة واحدة، ولها راع واحد. رعية مؤلفة من جنسيات وقوميات مختلفة، ولها راع واحد هو المخلص الملك يسوع المسيح. وبتعبير آخر لم يعد ملكوت الله حكراً على الشعب اليهودي بل أصبح يشمل شعوب الأرض قاطبة.

ولهذا كتب الرسول بطرس للمؤمنين بالمسيح في آسيا الصغرى قائلاً: "وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً وأما الآن فأنتم شعب الله. الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون." (رسالة بطرس الأولى ٢: ٩ و ١٠) من الواضح أن الرسول بطرس تحدث هنا عن شعب الله الجديد، المؤلف من المؤمنين الأمم واليهود، شعب الله الذي لم يكن قبلاً من شعب الله، شعب الله الجديد الذي كان في الظلمة فأضاء الله حياته بنوره الساطع، وأصبح هو الجنس المختار لله والأمة المقدسة. وهدف هذا الشعب هو الآن خلاص الله للبشر جميعاً.

أما الرسول بولس فأكد لنا في الأصحاح الثاني من رسالته إلى المؤمنين في افسس، الأعداد ١١ إلى ٢٢ أن الأمم الغريباء عن عهود الموعد، أي غير اليهود، قد صاروا قرييين من الله بواسطة صليب المسيح. وليس هذا فحسب بل صار المؤمنون بالمسيح - سواء كانوا من أصل يهودي أم أممي - واحداً في المسيح يسوع. لا بل أكثر من ذلك إذ كشف الرسول بولس في بداية الأصحاح الثالث من نفس الرسالة، أن الله أعلن له السر الذي كان مخفياً منذ القديم. هذا السر هو أن الأمم صاروا شركاء في الميراث والجسد ونوال موعد الله في المسيح بالإنجيل. أي بتعبير آخر أصبحت كل مواعيد الله للشعب اليهودي القديم، ملكاً لشعب الله الجديد، المؤلف من كل المؤمنين الحقيقيين، من أي جنس أو شعب كانوا.

قارئ العزيز، ألا تود أن تصبح من شعب الله الجديد؟ وأن تختبر خلاص الله المجيد؟ خلاص الله الذي ينقلك من الظلمة إلى النور؟ ويمتلك في نفس الوقت بكل هبات الله ومواعيده العظمى؟ لم لا تأتي اليوم بالتوبة والإيمان إلى شخص المخلص يسوع المسيح فتحصل على غفران الله و خلاصه والحياة الأبدية.